بسم الله الرحمن الرحيم

الجامعة الإسلامية بمنيسوتا

Islamic University of Minnesota

اسم المادة: تاريخ الخلفاء

إشراف استاذ المادة الدكتور: سلطان الجبوري حفظه الله ورعاه

عنوان التكليف: نبي الرحمة (محمد صلى الله عليه وآله وسلم)

بحث الطالب: علي محمد عبده المطري

دكتوراه العقيدة وأصول الدين فرع مكة المكرمة

الرقم الجامعي: ٤١٩٢٤٤

نبي الرحمة (محمد صلى الله عليه وآله وسلم)

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

إن أصدق الحديث كتاب الله، وأحسن الهدي هدي محمد، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾

[آل عمران: ١٠٢].

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء: ١].

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾

[الأحزاب: ٧٠-٧١].

اما بعد :

الرحمة لغة: "هي من رحمة يرحمه، رحمة ومرحمة، إذا رقّ له، وتعطف عليه، وأصلها يدل على الرقة والرأفة والعطف"،

الرحمة اصطلاحا: هي رقة تقتضي الإحسان إلى المرحوم، وقد تستعمل تارة في الإحسان المجرد من غير رقة، وتارة في الرقة المجردة، والرحمة صفة نبيلة تبعث على بذل المعروف وإغاثة المحروم ومنع التعدي على المظلومين، وقال عبد الرحمن الميداني: (الرحمة رقة في القلب يلامسها الألم حينما تدرك الحواس أو يتصور الفكر وجود الألم عند شخص آخر

أو يلامسها السرور حينما تدرك الحواس أو يتصور الفكر وجود المسرة عند شخص آخر) ((الأخلاق الإسلامية وأسسها)).

من أخلاقنا الجميلة :

خلق الرحمة :

الرحمة خلق من الأخلاق الاسلامية، وصفة لازمة لشريعة الإسلام ولرسوله محمد كما قال تعالى (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً للعالمين)، والرحمة صفة من صفات الخالق عزوجل واشتق الله من الرحمة اسم الرحمن ،قال القرطبي: (وذهب جمهور من الناس إلى أن الرحمن مشتق من الرحمة) ،و ورد ذكر الرحمة ومشتقاتها في القرآن الكريم في نحو ثمانية وستين ومائتي (٢٦٨) موضع، وهذا يدل على أهميتها وعناية الإسلام بها كخلق من الأخلاق التي يدعو لها ويحث عليها.

أهمية الرحمة :

الرحمة من صفات المتقين وتكمن أهميّة الرّحمة في الإسلام بكونها صفةٌ من صفات المولى –عزّ وجلّ– وهي خُلقٌ عظيمٌ من مكارم الأخلاق التي دعا إليها الإسلام، فالتّحلّي بهذه السجيّة الحسنة يدفع إلى مكنونات وفوائد عظيمة ينتفع بها المرء في دنياه وآخرته، وفيما يأتي بعض النقاط التي تُبيّن أهمية الرحمة في الإسلام وفوائدها:

أن يكون المرء رحيمًا يسمو بنفسه إلى رحمة الله، فالرّاحمون يرحمهم الله. أن يكون المرء رحيمًا يعني أنّه قد نال محبّة الخالق ومحبّة الخلق من بعده، فمن يُحبّه الله –عزّ وجلّ– يغرسُ حبّه في قلوب عباده المؤمنين. كونها من أخلاق الأنبياء ومن خلق الرسول محمّدٍ صلّى الله عليه وسلّم، حيث قال تعالى في سورة الأنبياء: {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ}.

كونها من الركائز الرئيسة التي يقوم عليها المجتمع الإسلاميّ، وذلك لما رُوي عن النبيّ –صلّى الله عليه وسلّم– في الحسن من الحديث قوله: "ليسَ منَّا منْ لمْ يرحمْ صغيرَنا، ولمْ

يعرفْ حقَّ كبيرِنا، و ليسَ منَّا منْ غشَّنَا، و لا يكونُ المؤمنُ مؤمنًا حتى يحبَّ للمؤمنينَ ما يحبُّ لنفسِهِ".

كونها سببًا من الأسباب التي تُورث المغفرة من الله تعالى، وكونها سببًا من الأسباب التي تدفع البشر إلى البحث عن الضعفاء من الخلق والإحسان إليهم.

الرحمة صفة إلهية و خلق نبوي كريم :

الرحمة خلق رفيع، يتصف به أصحاب القلوب اللطيفة التي ترق لآلام الخلق، وتتجاوز عن أخطائهم، وتحسن إليهم، وتعني الرأفة ولين الجانب والعطف، رقة في النفس، تبعث على سَوْق الخير، كما أن من أسماء الله الرحمن الرحيم، وبهما نفتتح كل سورة في القرآن، وقد حث الإسلام على الرحمة العامة وأوصى بها، وما كانت بعثة رسول الله إلا رحمة للعامين، وأمر المسلمين وأوصاهم بها، قال صلى الله عليه وسلم: «الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء». وقال المناوي، الرحمة من صفات الحق التي شمل بها عباده، فقوله صلى الله عليه وسلم، «ارحموا تُرحموا»، لأن الجزاء من جنس العمل، فلتكن الرحمة سجيتك والرفق خلقك، أما تحب أن يرحمك الله، والراحمون لمن في الأرض من آدمي وحيوان، يرحمهم الله، فكن رحيماً لنفسك ولغيرك ولا تستبد بخيرك. موجبات غفرانوقال الشنقيطي: يأمر الله المؤمنين إذا أساء إليهم بعض إخوانهم المسلمين أن يعفوا عن إساءتهم ويصفحوا، فليطمسوا آثار الإساءة بحلمهم وتجاوزهم، لأن العفو والصفح عن المسيء المسلم من موجبات غفران الذنوب، والجزاء من جنس العمل، والفاحشة أبشع الذنوب وأكبرها، ولكن سماحة هذا الدين لا تطرد من يهوون إليها من رحمة الله، ولا تجعلهم في ذيل قافلة المؤمنين، إنما ترتفع بهم إلى أعلى مرتبة، مرتبة المتقي. فالرحمة خلق رفيع، وخصلة نبيلة، والله عز وجل أرحم الراحمين ورحمته سبحانه سبقت غضبه وهي قريبة من عباده المؤمنين، وصف بها نفسه في أكثر من موضع من كتابه الكريم منها قوله تعالى: (وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ.. .)، «سورة الكهف: الآية ٥٨»

ولقد سطر إمامنا وقدوتنا نبينا عليه الصلاة والسلام، الرحمة في أروع صورها بمختلف أشكالها، فالرحمة صفة إلهية وخلق نبوي كريم، حري بنا أن نتخلق به وأن تجتهد في التحلي به لعل الله أن يرحمنا برحمتنا لخلقه. حال الفقراء وظهرت رحمة النبي صلى الله عليه وسلم ورأفته وشفقته بالمؤمنين، إذ تغير وجهه حزنا على حال الفقراء من المسلمين، فمن سمات الكمال التي تحلى بها خلق الرحمة والرأفة بالغير، أرحم بهم من والديهم، فهي من الكمال والجمال الخُلقي الذي تحلى به صلى الله عليه وسلم، فقد وهبه الله قلباً رحيماً، يرق للضعيف والمظلوم، ويعطف على الناس أجمعين، حتى صارت الرحمة له طبعا، فشملت الصغار والكبار، والخدم والعبيد، والفقراء والمساكين، والمسلم يتألم لألم أخيه، ويفرح لفرحه، عليه أن يسعى في قضاء حاجته، وتفريج همه وكربه.

نماذج من رحمة النبي صلى الله عليه وسلم قولا وعملا ودعوة :

لأن الرحمة كمال في الفطرة، وجمال في الخلق، إحساس في الضمير، وصفاء في الشعور، تهبُّ في الأزمات نسيمًا عليلاً، يرطِّب الحياة، ويُنعش الصدور، ويؤنس القلوب.

الرحمة صفة الله – عز وجل – فهو الرحمن الرحيم، الذي وسع كل شيء رحمة وعلمًا، وسبقت رحمته غضبه، جعلها عهدًا منه، فقال: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ ﴾ [الأنعام: ٥٤]، ورحمته تعالى شاملة كاملة، تفيض على المخلوقات وتسَعهم جميعًا، وبها يقوم وجودهم، وتقوم حياتهم؛ قال تعالى: ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ [الأعراف:١٥٦].

وقد جعل الله الرحمة مائة جزء، وأنزل لنا في هذه الأرض رحمة واحدة نتراحم بها؛ كما ورد في حديث أبي هريرة – رضي الله عنه – أنه قال: قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم– : ((جعلَ اللَّهُ الرّحْمةَ مِائةَ جُزءٍ، فَأَمسكَ عِندهُ تِسعَة وَتسعِينَ، وَأَنزلَ في الأَرض جُزءًا وَاحدًا، فمِنْ ذَلكَ الجُزءِ يَتَراحمُ الخلائِقُ حتى تَرفعُ الدَّابةُ حَافِرها عن ولدِها خشيةَ أن تصيبه))؛ رواه مسلم.

وكلما كان العبد أرقَّ فؤادًا، وأعظم نفعًا لعباد الله، وأكمل إحسانًا في عبادة الله، كان نصيبه أعظم وأوفر من رحمة الله؛ ﴿ إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [الأعراف:٥٦]، ومتى فتح الله أبواب رحمته، فلا ممسك لها، ومتى أمسكها فلا مرسل لها؛ ﴿ مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [فاطر:٢]، ورسول الله –صلى الله عليه وسلم– أُرسل رحمة للعالمين؛ ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ ﴾ [الأنبياء:١٠٧]، وسيرته معطّرة بعَبق رحمته، تنشر شذاها وطيبها بما سكَب الله في قلبه من العلم والحلم، وفي خلقه من الإيناس والبر، وفي طبعه من اللين والرفق، وفي يده من السخاوة والندى، ما جعله أزكى عباد الله رحمة، وأوسعهم عاطفة، وأرحبهم صدرًا، أثنى عليه تعالى بقوله: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

نماذج من رحمة النَّبي صلى الله عليه وسلم

– رحمته صلى الله عليه وسلم بالكفَّار.

– رحمته صلى الله عليه وسلم بالحيوان.

– رحمته صلى الله عليه وسلم بالجماد.

قال تعالى واصفًا نبيه الكريم صلى الله عليه وسلم: لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ [التوبة: ١٢٨].

فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أرحم النَّاس بالنَّاس وأرأفهم بهم؛ المؤمنين ومن لم يكن يدين بدين الإسلام أصلًا، بل إنَّ رحمته صلى الله عليه وسلم تعدت ذلك إلى الحيوان، والجماد، وسنعرض هنا بعض النماذج من رحمته صلى الله عليه وسلم.

رحمته صلى الله عليه وسلم بالكفَّار:

– (عن عائشة رضي الله عنها زوج النَّبي صلى الله عليه وسلم أنَّها قالت للنَّبي صلى الله عليه وسلم: هل أتى عليك يوم كان أشدَّ من يوم أحد؟ قال: ((لقد لقيت من قومك ما

لقيت، وكان أشدَّ ما لقيت منهم يوم العقبة، إذ عرضت نفسي على ابن عبد يا ليل بن عبد كلال، فلم يجبني إلى ما أردت فانطلقت. وأنا مهموم على وجهي، فلم أستفق إلَّا وأنا بقرن الثَّعالب، فرفعت رأسي، فإذا أنا بسحابة قد أظلَّتني، فنظرت فإذا فيها جبريل، فناداني، فقال: إنَّ الله قد سمع قول قومك لك وما ردُّوا عليك، وقد بعث الله إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم. فناداني ملك الجبال فسلَّم عليَّ، ثمَّ قال: يا محمَّد، فقال: ذلك فيما شئت، إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين. فقال النَّبي صلى الله عليه وسلم: بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله لا يشرك به شيئًا)).

قال ابن حجر: (في هذا الحديث بيان شفقة النَّبي صلى الله عليه وسلم على قومه، ومزيد صبره وحلمه، وهو موافق لقوله تعالى: فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللهِ لِنتَ لَهُمْ [آل عمران: ١٥٩]، وقوله: وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ [الأنبياء: ١٠٧]).

رحمته صلى الله عليه وسلم بالحيوان:

عن عبد الله بن جعفر رضي الله عنه قال: ((أردفني رسول الله صلى الله عليه وسلم خلفه ذات يوم، فأسرَّ إليَّ حديثًا لا أحدث به أحدًا من النَّاس، وكان أحب ما استتر به رسول الله صلى الله عليه وسلم لحاجته هدفًا أو حائش نخل، قال: فدخل حائطًا لرجل من الأنصار فإذا جمل، فلما رأى النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم حنَّ وذرفت عيناه، فأتاه النَّبي صلى الله عليه وسلم فمسح ذفراه، فسكت، فقال: من رب هذا الجمل؟ لمن هذا الجمل؟ فجاء فتى من الأنصار فقال: لي يا رسول الله. فقال: أفلا تتقي الله في هذه البهيمة التي ملَّكك الله إياها؟ فإنه شكا إليَّ أنك تجيعه وتدئبه)).

– عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: ((كنَّا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر، فانطلق لحاجته فرأينا حُمرة معها فرخان، فأخذنا فرخيها، فجاءت الحُمرةُ فجعلت تفرِش، فجاء النَّبي صلى الله عليه وسلم فقال: (من فجع هذه بولدها؟ ردُّوا

ولدها إليها، ورأى قرية نمل قد حرقناها، فقال: من حرَّق هذه؟ قلنا: نحن، قال: إنَّه لا ينبغي أن يعذِّب بالنَّار إلَّا ربُّ النَّار)).

رحمته صلى الله عليه وسلم بالجماد:

– عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، أنَّ النَّبي صلى الله عليه وسلم: ((كان يقوم يوم الجمعة إلى شجرة أو نخلة، فقالت امرأة من الأنصار، أو رجل: يا رسول الله، ألا نجعل لك منبرًا؟ قال: إن شئتم. فجعلوا له منبرًا، فلما كان يوم الجمعة دفع إلى المنبر، فصاحت النخلة صياح الصبي، ثم نزل النَّبي صلى الله عليه وسلم فضمَّه إليه، تئنُّ أنين الصبي الذي يسكن، قال: كانت تبكي على ما كانت تسمع من الذكر عندها))

ولقد لازَمته هذه الأخلاق العالية في أحلك الساعات، وأصعب الأوقات؛ حيث غلبه الرفق والرحمة مع أعدائه، يتحمل أذاهم، ويرجو صلاحهم، وما كان دعاؤه إلا قوله: ((اللهم اهدِ قومي؛ فإنهم لا يعلمون)).

حثه امته على الرحمة

وكان –صلى الله عليه وسلم– يرغب بالرحمة دائمًا، ويُعمِّقها في نفوس المسلمين والمسلمات، فعن عبدالله بن عمرو – رضي الله عنهما – أن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– قال: ((الراحمُونَ يَرحمُهُم الرحمنُ، ارْحَموا مَنْ في الأرض يرحمْكُم من في السَّماءِ))؛ أخرجه الإمام الترمذي وصحَّحه، وكان – عليه الصلاة والسلام – مثالاً فذًّا للرحمة الخالصة الشفافة، فقد قالت عائشة – رضي الله عنها –: جاء أعرابي إلى النبي –صلى الله عليه وسلم– فقال: أتُقبِّلون الصبيان؟ فما نقبِّلهم، فقال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: ((أَوَأَمْلِكُ لكَ أن نَزَعَ اللهُ الرحمةَ مِنْ قَلْبِكَ))؛ رواه البخاري.

وكذلك قبَّل –صلى الله عليه وسلم– الحسن بن علي وعنده الأقرع بن حابس، فقال الأقرع: إن لي عشرة من الولد ما قبَّلت واحدًا منهم، فقال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: ((مَن لا يَرحم لا يُرحم))؛ متفق عليه.

لقد علَّم –صلى الله عليه وسلم– أصحابه هذا الخُلُق العظيم، وجعله من دلائل الكمال؛ ليتراحموا فيما بينهم، ولتتذوق قلوبهم نداوة الرحمة.

فالمؤمنة أو المؤمن يتميز كل منهما بقلب مرهف، ليِّن رحيم، يلقى الناس جميعًا، فيرِقُّ للضعيف، ويتألم للحزين، ويحنو على المسكين، ويمدُّ يده للملهوف، موقنًا أن رحمة الله لا تناله إلا برحمة الناس؛ ((إنما يرحمُ اللهُ مِنْ عِباده الرحماءَ)).

والرحمة في الإسلام لا تقتصر على البشر، بل تتجاوزه إلى نطاق الرحمة بالبهائم، فقد أخبرنا رسول الله –صلى الله عليه وسلم– أن الجنة فُتحت أبوابها لامرأة بَغِي سقت كلبًا بخُفِّها، فغفر الله لها، وأن النار فتحت أبوابها لامرأة حبست هرة، فلا هي أطعمتها ولا هي أرسلتها تأكل من خشاش الأرض حتى ماتت.

علم اصحابه خلق الرحمة قولا وعملا

وعلى هذا النهج التربوي النبوي سار الصحابة الكرام، فكانوا أبرارًا رحماءَ، لا فُجارًا ألِدَّاء؛ ﴿ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ﴾ [الفتح: ٢٩]، وأيُّ تراحُم بعد تراحمهم؟! فها هو أبو الدرداء – رضي الله عنه – الذي امتلأ قلبه رحمة ورقة، يقف أمام بعيره عند موته، فيقول له: يا أيها البعير، لا تخاصمني إلى ربك، فإني لم أكن أُحمِّلك فوق طاقتك.

إنها صِبغة الإسلام وتربية خير الأنام؛ حيث سجَّلَ التاريخ لنا مشاهد رائعة من هذه الرحمة الندية، قاد المسلمون من خلالها العالم إلى المحبة والوئام، وحققوا السعادة والسلام، وأناروا حياتهم بمآثر الإحسان. وإن الذي يتجرَّد من الرحمة، فهو في عداد الأشقياء، يستحق سخط الله، يقول –صلى الله عليه وسلم–: ((لا تُنْزَع الرحمة إلا من شقي))؛ رواه الترمذي.

فلننظر إلى أحوالِ كثير من المسلمات مثلاً، وبعضهنَّ متديِّنات، بل قد يكُنَّ داعيات! قد تبدَّلَت النفوس، وتحجَّرَت القلوب، ودَبَّ داء العداوة والبغضاء، فلا تراحم ولا تعاطف، بل تناحر وتفاخر، وتقاطع وتدابر؛ لذا كان هذا من أعظم أسباب تحكُّم المفسدين

والطغاة الظالمين فينا، فأكثروا في البلاد الفساد وأزهقوا الأرواح، ونَحَروا الرقاب، وأسالوا الدماء، وشرَّدوا العباد، فويلٌ لهؤلاء الأشقياء من جبار السماء، ويل لهم فيها من عذاب ينتظرهم؛ ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴾ [هود: ١٠٦].

فما أحوجنا إلى الحياة في ظلال الرحمة ونَدَاها، والأُنس في رحابها وشَذَاها، وما أجمل أن نعيش متوادِّين متراحمين، متمسكين بديننا وعقيدتنا، متوجهين إلى الله في طاعة ورجاء، وثقة واستسلام؛ ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [آل عمران: ١٣٢].

أنواع الرحمة :

الرحمة التي يتصف بها

النوع الأول:

رحمة غريزية، جبل الله بعض العباد عليها، وجعل في قلوبهم الرحمة والرأفة والحنان، والعطف على الخلق، ففعلوا بمقتضى هذه الرحمة جميع ما يقدرون عليه من النفع بحسب الاستطاعة، فهم محمودون مثابون على ما قاموا به، معذورون عمّا عجزوا عنه.

النوع الثاني:

رحمة يكتسبها العبد بسلوكه كل طريق ووسيلة تجعل قلبه على هذا الوصف، فيعلم أن الرحمة من أجل مكارم الأخلاق وأكملها، فيجاهد نفيه على الاتصاف بها؛ رجاء نوال ثوابها وخشية حلول العقاب بتركها، فهذا لا يزال مجتهداً في تعرف الأسباب التي يدرك بها هذا الوصف الجميل.

كيف ننال رحمة الله ؟

الراحمون يرحمهم الرحمن» عبارة جليلة، وغاية نبيلة، وهدف سام ومن يتصف بصفة الرحمة، وينتسب إلى هذه الدوحة الكريمة فقد بلغ الغاية التي يرجوها، والهدف الذي يسعى إليه.

لقد قرر الحق سبحانه وتعالى أمراً حين قال في الحديث القدسي: «لما قضى الله الخلق كتب كتابا عنده: غلبت أو قال: سبقت رحمتي غضبي. فهو عنده فوق العرش» رواه البخاري. وقد يتبادر إلى ذهن القارئ كيف تسبق الرحمة وهي –في ظنه– من خلق الضعفاء، الغضب وهو أيضاً –في ظنه– من خلق الأقوياء؟! نقول له: ومن قال لك ان الرحمة من خلق الضعفاء؟ ألم يصف الحق سبحانه وتعالى ذاته العليا بأنه رحمن رحيم، وقد يجيد الغضب والانفعال كثير من الناس، ولكن القلة القليلة هي التي تجيد الرحمة، لأنها الانتصار على شهوة النفس في الغضب والحدة.

ومن أراد أن ينال رحمة الله تعالى ومغفرته فعليه أن يبذلها إلى من هم في حاجة إليها، وهو هنا يعطي على قدر استطاعته، ويحصل من الرحمة على قدر الرحمن الرحيم سبحانه. جاء عن أبي قابوس مولى عبدالله بن عمر رضي الله عنهما: «الراحمون يرحمهم الرحمن تبارك وتعالى، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء» (الألباني/السلسلة الصحيحة).

وحتى يكون المؤمن رحيما كما أراده الله تعالى، فيجب عليه أن يكون ملتبساً بالرحمة في كل تصرف من تصرفاته، كما أنه يحب الخير كل الخير لنفسه، فيجب أن يحبه للناس عملا بالمبدأ الإسلامي والإيماني العظيم: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه» متفق عليه. ولو عمل المسلمون جميعاً بهذا المبدأ العظيم وحرص كل مؤمن على أن يحب لأخيه ما يحبه لنفسه، ويسعى إليه في مظانه، ويبحث عن السبل الموصلة إليه، لو فعل المسلمون هذا لارتاح القاضي وقبل القاضي الحاكم لأن المسلمين سوف ينصفون إخوانهم من أنفسهم، ولقد حدث هذا في الخلافة الراشدة عندما قلد أبو بكر الصديق رضي الله عنه في خلافته عمر بن الخطاب رضي الله عنه أمر القضاء، ومر عام من دون أن يتقدم أحد بخصومة إلى عمر، فذهب عمر بن الخطاب إلى خليفة المسلمين أبي بكر الصديق رضي الله عنه يستعفيه من القضاء، فسأله أبو بكر هل تعبت من العمل؟ قال له

عمر: إني لم أتعب من العمل ولكني تعبت من قلة العمل! ولما سأله أبو بكر: كيف ذلك؟! قال عمر: لأنه طوال عام لم يتقدم خصمان بقضية إلي!!

إن عمر لم يتعود الجلوس بلا عمل وهو صاحب المقولة المشهورة: أرى الرجل فيعجبني، فأسأل: هل له عمل؟ فإذا قيل لا سقط من عيني! إن الفاروق رضي الله عنه يقدس العمل ولا يدع لحظة من لحظات حياته بدون عمل، واليوم في حياة عمر بن الخطاب، وفي خلافته الراشدة لم يكن كأيامنا أربعة وعشرين ساعة، بل هو أكثر من ذلك لأنه يقدر الزمن بما يحققه فيه من عمل وسعي في مصالح المسلمين.

أيها المسلم الطائع عليك أن تكون رحيماً شفيقاً على من هم في ولايتك، واعلم أنك سوف تسأل عمن ولاك الله تعالى عليه. عن ابن عمر رضي الله عنهما، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته، والأمير راع والرجل راع على أهل بيته، والمرأة راعية على بيت زوجها وولده، فكلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته» متفق عليه.

هذه المسؤولية المتصلة الحلقات، تجعل المسلم في موقف لا يحسد عليه وانه يوم القيامة سيسأل حفظ أم ضيع، وهل قام بما ينبغي عليه من رعاية لمن هم في ولايته، وكان رحيماً رفيقاً بهم أم لا !!

فوائد الرحمة :

للتحلي بخلق الرَّحْمَة فوائد عظيمة وثمار جليلة، فما أن يتحلى المؤمن بهذه الحلية، ويتجمَّل بهذه السَّجيَّة حتى تظهر آثارها وتؤتي أكلها.. ليس عليه فقط، بل عليه وعلى من حوله، وسنعرض لبعض هذه الآثار والفوائد إجمالًا، فمن ذلك:

١- أنَّها سبب للتعرض لرحمة الله، فأهلها مخصوصون برحمته جزاء لرحمتهم بخلقه.

٢- محبة الله للعبد، ومن ثم محبة النَّاس له.

٣- ومن أعظم فوائدها، أنَّ المتحلي بها يتحلى بخلق تحلى به رسول الله صلى الله عليه وسلم.

٤- أنها ركيزة عظيمة، ينبني عليها مجتمع مسلم متماسك يحس بعضه ببعض، ويعطف بعضه على بعض، ويرحم بعضه بعضًا.

٥- أنها تشعر المرء بصدق انتمائه للمجتمع المسلم، فمن لا يرحم لا يستحق أن يكون فردًا في المجتمع أو جزءًا منه؛ لذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((ليس منا من لم يرحم صغيرنا، ويعرف شرف كبيرنا)).

٦- أنه على قدر حظ الإنسان من الرَّحْمَة، تكون درجته عند الله تبارك وتعالى، وقد كان الأنبياء أشدَّ النَّاس رحمة، وكان الرسول صلى الله عليه وسلم أوفرهم حظًّا منها.

٧- أنها سبب لمغفرة الله تبارك وتعالى وكريم عفوه، كما أنَّ نقيضها سبب في سخطه وعذابه.

٨- ومن أعظم فوائدها أنَّها خلق متعدٍّ إلى جميع خلق الله.

٩- أنها سبب للالتفات إلى ضعفة المجتمع؛ من الفقراء، والمساكين، والأرامل، والأيتام، والكبار، والعجزة، وغيرهم.

الرحمة في الدين والأخلاق :

الرحمة حاضرة في القرآن الكريم في ثلاثمائة وأربعين آية، وحاضرة في الحديث النبوي في مواضع كثيرة، وفي سيرة النبي صلى الله عليه وسلم.

الرحمة انفعال وفعل :

الرحمة في الرؤية القرآنية هي: انفعال وفعل معا، فهي رقة وتعاطف وشفقة مع تعاون وإحسان وفعل للخيرات، فلابد أن تتجاوز الرحمة حيز الشعور لتتجسد في الواقع لتغييره للأفضل، لذا تحارب الرؤية الإسلامية القسوة، وتبحث عن منابعها لتجففها، وذلك من خلال إقامة علاقات تراحمية وخلق تنمية مستدامة تطرد القسوة من المجتمع.

وقد أحصى البعض للرحمة ثلاثة عشر وجها في القرآن الكريم، فجاءت الرحمة بمعنى: المطر، والنبوة، والعافية وسعة العيش، والنصر، والعصمة، والجنة، وهي أوجه تنصرف إلى معنى النعم التي تفضل بها الخالق على الإنسان، والتي لابد أن تُقابل بالشكر، والسعي لحفظها وعدم تبديدها وهدرها أو إفسادها، كذلك لابد من تحديث الرحمة من خلال اكتشاف السبل لتتوالد، فمثلا ماء المطر الذي أشار القرآن أنه رحمة، يجب ألا يُبدد ولكن يُخزن ويستخدم في الزراعة وتوليد الكهرباء التي تساهم في تخفيف حدة العوز في المجتمع، وبالتالي تحولت رحمة المطر إلى مشاريع لرحمة المجتمع والفقراء والمساكين.

ويمكن النظر إلى نوعين من الرحمة الإلهية: الأولى: رحمة هي في أساسها هبه من الخالق سبحانه وتعالى يتحصل عليها الإنسان ابتداءا بلا أي عمل، مثل: الإيجاد، والإمداد بأسباب الحياة، أما الثانية: فهي رحمة استحقاق لا يتحصل عليها الإنسان إلى من خلال جهد، ومن سبل استنزال الرحمة الإلهية: الإيمان، والانصات للقرآن الكريم، والطاعة لله ورسوله، والاستغفار، والصبر، والدعاء، والصلاح، والإنفاق في سبيل الله.

ويمكن تقسيم الرحمات الإلهية إلى:

رحمات كونية : مثل: توفير أسباب الحياة على الأرض من إنزال الماء وتمهيد الأرض وتذليل كثير من الحيوانات.

رحمات حياتية : وهي تلك الرحمات التي يُغيث بها الله الناس والأفراد، مثل التزكية، وحفظ النفس من الأمر بالسوء، والتمكين في الأرض، وكشف الضر، وعدم تعجيل العقوبة لمستحقيها، والذرية الصالحة، وعدم تضييع أبناء الصالحين.

رحمات الهداية : وتتجلى في هداية البشر للإيمان والعمل الصالح من إرسال الرسل وإنزال الكتب.

رحمات تشريعية : فمقاصد التشريع الإسلامي غايتها الرحمة بالإنسان، قال تعالى: (يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ)، كما أن التكليف مرتبط بالاستطاعة، قال تعالى: (لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا)، وبناء على ذلك يضم القرآن أشكالا من الرحمة في تشريعاته وتكليفاته، ومنها: التخفيف، والرخصة في العبادات للمرض أو السفر أو عدم القدرة.

ولكن كيف يحول المجتمع تلك الرحمة الإلهية إلى سلوك وقيم يتعايش من خلالها الناس؟

يمكن تحقيق ذلك من خلال مسارين، أولهما: تكليف الإنسان لأخيه الإنسان يجب أن يتسم بالرحمة، وتظهر الحاجة إلى هذا المسار في العلاقات الزوجية، والعمل، إذ لابد للمؤسسات وأرباب العمل من مراعاة الرحمة في تكليفاتهم، وثانيهما: خاص بالعلماء والمفتين والمجتهدين في ضرورة البعد عن الغلو والتعسير والتشدد.

مجتمعات التراحم :

سعت الرحمة في الخبرة الحضارية الإسلامية للتعبير عن نفسها في مشاريع تخفف عن الناس قسوة الحياة، وتخلق بيئة للتراحم، حتى في حال غياب قيم الشريعة عن أروقة السلطة، جرى تفعيل الرحمة في المجال الاجتماعي، وتعد قيم التراحم والتكافل من القيم المنبثقة من مفهوم الرحمة، وهي من القيم التي اهتمت بها الشريعة وجعلتها أساسا للعلاقات بين أبناء المجتمع.

ماذا تعني الرحمة؟

وتجلى الجانب المادي للرحمة في الحضارة الإسلامية في عدد من النظم العملية، أهمها: الزكاة، والوقف، فالزكاة أول مكونات النسق التراحمي، وللفقهاء اجتهادات عظيمة في فقه الزكاة تكشف عن حقيقة الرحمة في الرؤية والتشريع الإسلامي، أما الوقف فالحكمة من تشريع سنته هو أن يسد ما تعجز الزكاة عن الوفاء به، فهو نظام يتكامل مع الزكاة، لذا وصف العلماء الوقف بأنه من "مكارم الأخلاق"، وهو نظام تراحمي يتسم بدرجة عالية من الاستقرار والاستمرار، وظل ينمو في المجتمع الإسلامي طوال تاريخه، وكانت

الأراضي الزراعية على وجه الخصوص، والتي كانت تعد أهم مصادر الثروة لقرون طويلة، هي أهم ما أوقفه ذوو الرحمة، وتميزت أراضى كثير من الأوقاف بأنها كانت الأعلى خصوبة والأكثر انتاجية، وهو ما كفل قدرا من الحماية والرحمة بالفقراء والمساكين أمام تقلبات الزمن من خلال توفير مورد اقتصادي غير ناضب لرعايتهم، وظهرت فتاوى تكشف عن حقيقة الرحمة في نظام الوقف، حيث "قرر الفقهاء أنه في سنة المجاعة والمخمصة، لا يحل بأي شكل استبقاء الأرض المرصودة للوقف دون استفادة منها، وإنما يجب بيع الأرض المحبوسة على الفقراء مراعاة لأولويات الضرورة، ولأن استبقاء أنفسهم وعدم الإفراط في هلاكهم أفضل عند الله، وأقرب للطريق المثلى من بقاء الأرض بعد هلاكهم أو موتهم".

دعا الدين الإسلامي الحنيف إلى عدد من القيم الأخلاقية، التي حث الناس على الالتزام بها، وكلها تخص المعاملات فيما ما بينهم، مثل الكرم والتسامح والتآخي وجبر الخواطر، ومن أهم تلك القيم الرحمة، التي كتبها الله عز وجل على نفسه وحث عباده عليها، لأن الراحمين يرحمهم الله عز وجل، فإذا كنت رحيما دائما، يكن ربك سبحانه وتعالى رحيما بك.

ماذا تعني الرحمة؟

تعني الرحمة التعامل مع الآخرين برأفة ولين قلب وتفاهم وتساهل، وتشمل كذلك عدم معاقبة الآخرين والعفو عما صدر منهم من أفعال غير طيبة، ذلك لأن الشخص الرحيم يكون قلبه نقيا صافيا ومتسامحا، ومحبا لمن حوله وليّنا في معاملته معهم.

وأكثر صور الرحمة جمالا عندما يكون الشخص قادرا على إلحاق العقاب بغيره، وهو في موضع قوة والذي أمامه في موقف ضعف، ولكن الشخص صاحب الحق يكون رحيما فيعفو عن الآخر، ويسامحه ويرحمه، وتلك هي عظمة قيمة الرحمة، التي تنم عن شخصية طيبة وروح سامية نقية ونفس صافية.